سَعديّة مفرّح

مُشاغِبٌ وَأَنيقٌ

الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.

مُشاغِبٌ وَأَنيقٌ

سَعديّة مفرّح

الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل
Arab Scientific Publishers, Inc. S.A.L.

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى
1437 هـ - 2015 م

ISBN: 978-614-02-2629-6

جميع الحقوق للناشر

الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.

عين التينة، شارع المفتي توفيق خالد، بناية الريم
هاتف: 786233 - 785108 - 785107 (1-961+)
ص.ب: 13-5574 شوران - بيروت 2050-1102 - لبنان
فاكس: 786230 (1-961+) - البريد الإلكتروني:
jchebaro@asp.com.lb
الموقع على شبكة الإنترنت: http://www.asp.com.lb

يمنع نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأية وسيلة تصويرية أو الكترونية أو ميكانيكية بما فيه التسجيل الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو أقراص مقروءة أو بأية وسيلة نشر أخرى بما فيها حفظ المعلومات، واسترجاعها من دون إذن خطي من الناشر.

إن الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي الدار العربية للعلوم ناشرون ش. م. ل

لوحة الغلاف: الفنانة مشاعل الفيصل
تصميم الغلاف: علي القهوجي

التنضيد وفرز الألوان: أبجد غرافيكس، بيروت – هاتف (+9611) 7
الطباعة: مطابع الدار العربية للعلوم، بيروت – هاتف (+9611) 33

إهداء

يَقُولُ مَامَا وَمَا أَنَا بِمَامَا، فَـــتُـــرَقصُ
فِي وِجْدَانِي غزالات لِلتَّوِّ اِكْتَشَفْنَ نَبْعَ المَاء، وَيَرْتُجُّ قَلْبِي كَعُصْفُورٍ مُبَلَّلٍ!

/ قَلْبِي يُحَدِّثُنِي بِأَنَّكَ مُتْلفِي»
!«رُوحِي فِدَاكَ.. عرفتَ أَمْ لَمْ تَعرف
(ابن الفارضَ)

«ما الذي غيَّرك؟»*

لقدْ كنتَ أنْتَ أَنا
وكُنْتُ أناكَ، فأَنْزَلْتَني منْ سماواتِ عِرشِك، مُغْمَضَةً
وأَوْقَعْتَني في الشَرَكْ!

ما الذي غَيّرك؟

ما الذي مِنكَ أيقظَ هذا الغراب الحزينْ
ليَنْعق في ظُلُماتِ الردى والبِرَكْ
تُطيحُ بِقلبي وقد أَمَّرَكْ؟

تقاتلني في صفوف الغباء
وقد كنت أروي شغافك بالعالمين؟

لقدْ كنتُ نَوْمَكَ صَحْوكَ سُكْرك لليلكَ
وقدْ كنتُ يومًا أنا أكْثَرَكْ!

لَيْلٌ يَلْتَهِـــمُ آخَرَ!

أَسْتَعِيدُ قَصَائدي القَدِيمَةَ
لعَلِيِّ أَجِدُهُ بَيْنَ القوافي المُهْمِلَةِ
بلَا جَدْوَى..!

/
\
فِي أَوَّلِ اللَّيْلِ..
يَنْتَابُنِي هَاجِسٌ يَتَصَاعَدُ شَيْئًا فَشَيْئًا لِيَقُودَنِي إِلَيْهِ،
وَحْدهُ..
أَغَالَبُ اللَّيْلَ بالشِّعْرِ
وأغالبُ الشِّعْرَ باللَّيْلِ
فَلَا أَجِدُ بَيْنَهما سِوَاه
/
\
\
/
/
يُغَالبُ اللَّيْلَ بالسَّهَرِ
وَيغَالبُ النَّهَارَ بالسَّفَرِ،
وَلَا يعْلمُ أَنَّهُ المُقِيمُ أَبَدًا

تَحْتَ أَجْنِحَةِ القَلَقِ المهيضة بالضَّرُورَةِ
يَسْتَعِدُّ لِإِعْلَانِ نَصْرِهِ الكَبِير عَلَيَّ
طِفْلًا فِي مقتبل الكُهُولَةِ!
يلْهُو عَبْرَ الرَّسَائِل الهَاتِفِيَّةِ
ببَقَايَا اليَأْس،
وَأَلْهو مَعَهُ بفُتاتِ الأَمَل!
أَقُولُ لَهُ إِنَّ المُضغةَ المُعَلَّقَةَ
في يَسَارِ القَفَصِ الصَّدْرِيِّ
لَيْسَت مُجَرَّد مِضَخَّةٍ للدَّم
فَيَرْسُمُ عَلَى بَلَاهَةِ الوَرَقِ مِضَخَّةً صَغِيرَةً لِلدَّمِ
دَاخِلَ قَفَصٍ صَدْرِيٍّ!
أَيُّ بَلَاهَةٍ..!
/
\
\
/
يَتَحَدَّى صَبْرِي بِطَيْشِهِ القَاتِل..
لا يَعْلَمُ أَنَّنِي لَا أُحِبُّ شَيْئًا فِيهِ أَكْثَر مِنْ هَذَا الطَّيْشِ القَاتِلِ
يَغِيبُ تَمَامًا...
فَيُقْلِقُنِي غِيَابُهُ
وَيُقْلِقُنِي أَكْثَر حُضورُهُ المُرْتَبِك!

وَحْدهُ اللَّيْلُ مَنْ يَرَانَا وَهُوَ يُغْمِضُ عَيْنَيْه،
/
\
\
/
/
وَحْدنَا منْ نَرَى اللَّيْلَ وَنَحْنُ نُغْمِضُ أَعْيُننا
وحِيدَيْنِ كُلٌ عَلَى حِدَةٍ
سَادِرينَ فِي الوَحْدَةِ وَالكِتَابَةِ وَالقَلَقِ!
تَجْدلنَا العُزْلَةُ فِي ضَفَائرَ مُعَقَّدَةٍ
وَلَا مَنْ يَرْغَبُ فِي فَكِّهَا..
تُحَاصِرُنَا الجُدْرَانُ البَيْضَاء وَتُحَاصِرُهَا الكُتُبُ
/
\
لَيْلٌ يلْتَهمُ آخَرَ
وَنَهَارٌ بَاهِتٌ بَيْنَهمَا
لَا يُجيدُ سِوَى تَعْلِيمنا لَعْبَةَ الصَّبْرِ وَالأنَا وَالنِّسْيَانِ
/
/
أَكْتُبُ قَصِيدَةً مَيِّتَةً،
وَأُكفِّنهَا كَجُثَّةٍ فِي وَرَقَةٍ بَيْضَاء

لَكنَّي أَنْسَاهَا
فِي خِضَمِّ وَجْهِهِ الحييّ الذاهل عَمَّا سِوَى الكِتَابَةِ والسلوان
وَأَمْضِي..
وَيَمْضِي!

أسئلة الفتى الأنيق

دَمْعَتِي اليَابِسَةُ
فِي ثِيَابِ فَتَى غرٍّ وَأَنِيقٍ
رَهْبَتِي فِي اِنْتِظَارِهِ
كوشوشة رِيحٍ حُبْلَى بِمَطَرٍ اسْتِوَائِيٍّ
وَغَيْبَتِي فِي حُضُورِهِ
كَابْتِسَامَةٍ مَيِّتَةٍ لِشَهِيدٍ حَيٍّ
أَوْ كَكَلِمَاتٍ
يمْكِنُهَا أَنْ تُعِيدَ صِيَاغَةَ التَّارِيخِ السِّرِّيِّ لِلعَالَمِ
كَيْ أَسْتَلَّهَا مِنْ المعجمِ
وَأَسْرِقَ الوَحْيَ مِنْ أُنُوثَتِهَا
كَيْ أَكْتُبَهَا فَتَصِيرُ قَصِيدَتِي الأَخِيرَة
كَيْ أَنْتَحِيَ بِهَا جَانِبًا
لِتَصِيرَ سِرِّي وَمَهْبَطَ غَرَامِي
كَيْ أَدَوْزِنَ مَا تَبَقَّى لِحنْجَرَتِي مِنْ أَوْتَارٍ
فَأُغَنِّيهَا بِهمماتٍ لَا يَسْمَعُهَا أَحَدٌ
كَيْ أَخْلِطَ فِي صَحْنِهَا الأَلْوَانَ كُلَّهَا
لَعَلَّهَا تُشِعُّ بِأَبِيضِهَا الغَرِيب
كَيْ أَحْفرَ مِنْ بَيْنِهَا قَبْرًا صَغِيرًا
يَكْفِي لِيَضُمَّ أَرْبَعَةً وَسِتِّينَ كِيلوّاً
مِنْ العَظْمِ وَاللَّحْمِ وَالدَّمِ

وَأَشْيَاء أُخْرَى لَا تَبينُ

قبْرًا بِطُولِ مِئَةٍ وَوَاحِدٍ وَسِتِّينَ سنتيمرًا وَحَسبُ!
لَا أَقَلَّ فيتقَرفصُ الجَسَدُ الفَانِي،
وَلَا أَكْثَرُ فيتمدَّد بمَا لَيْسَ لَهُ
قَبْرًا عَمِيقًا بِمَا يَكْفِي للكَلَامِ
مِنْ دُون أَنْ يَرْتجّ الصَّدَى
وَدَارِسًا بمَا يَكْفِي
لكَيْ يَنْسَاهُ العَابِرُونَ
فَلَا يَسْتَدِرُّ نوازلَ الرَّحْمَةِ
وَلَا رِهاب الخَوْفِ
وَأَنِيقًا بِمَا يَكْفِي لِيَكُونَ الحُلمَ..
فَلَا أَنْسَى أَحْلَامَي فِي لُجَّةِ الموات

وَبَعِيدًا لِيَكْتَفِيَ بِوَحْشَتِهِ الخَاصَّةِ
بَدَلًا مِنْ وَحْشَةِ القُبُورِ
وَنَدِيًّا
بِمَا يَكْفِي لِحُنُوِّ شُجَيْرَةِ خُزَامَى
وَدَامِسًا فِي ظُلْمَتِهِ
بِمَا يَكْفِي لِأَنْ يَكُونَ قَبْرًا حَقِيقِيًّا..
مِنْ أَيْنَ لِي كُلُّ هَذَا التَّرَفِ البَاذِخِ

فِي قَبْرٍ مَنْسِيٍّ؟
/
/
لَا أُصَدِّقُ أَحَدًا يَعِدُنِي بِمَثَلِهِ..
وَلَا تَدْرِي نَفْسٌ!
/
\
\
/
/
لِلفَتَى الغرِّ الأَنِيقِ أَسْئلَتُهُ
اَلَّتِي لَا أَعْرِفُ إِجَابَاتِهَا
لَهُ تِلْكَ الأَسْئلَةُ المُدَبَّبَةُ
إِذْ تَطعنُ مَا بَيْنَ أَضْلُعِي
فَيَرْتَعِدُ القَلْبُ فِي مَكَانِهِ
\
/
كُلُّ سُؤَالٍ رَأسُ إِبْرَةٍ
تُنفُذُ مَا بَيْنَ ضِلْعَيْنِ
فَيَنْكَمِشُ القَفَصُ الصَّدْرِيُّ

حَوْلَ غَابَةٍ مِنْ عَلَامَاتِ الاسْتِفْهَامِ المُدَبَّبَةِ..
مِنْ أَيْنَ يَأْتِي
بِأَسْئِلَتِه المُبَاغِتَة؟
كَيْفَ يَشْذِبُهَا
لِتَكُونَ بِهَذِهِ الحِدَّةِ؟

/
/
لفتاي نَشِيجٌ مَكْتُومٌ
وَلَهِ أدمعهُ اليَابِسَةُ مِثْلِي،
وَلَهُ ذِكْرَيَاتٌ أَقَلُّ وَأَوْفَى مِنْ ذِكْرَيَاتِي
وَلَهِ صَوْتُهُ المُهَادِنُ المستريب دَوْمًا
كَانَسَحَابِ الكَلِمَةِ الأَخِيرَةِ فِي أَذَانِ العَشَاءِ،

أَوْ صَفِيرِ رِيحٍ عَاتِيَةٍ فِي أَوَاخِرَ شِتَاء

وَكَإِوَزَّةٍ تُرِكَتْ بُحيرتَها آسِنةً
بِطَحَالِبِ الكَلَامِ المَرِيضِ
وَمَضَتْ شَامِخَةً بِعلَوِّ صَدْرِها
يَتْبَعُهَا سِرْبُ نَمْلٍ فِي انْتِظَامٍ رَتِيبٍ

/
\
\
أراقبُني فِي ذَلكَ المَشْهَد المَنْحُوتِ
بالقَلَم الرَّصَاصِ كَرَصَاصَةٍ مَارِقَةٍ
أراقبُني بِبُرُودٍ مُحَايِدٍ لَا يَلِيقُ بِالشُّعَرَاءِ
أراقبُني سَائِرَةً
فِي قَلْبِ المَشْهَدِ المُتَنَاهِي فِي بَرَاعَتِهِ

أَرَاقَبَنِي بنَزَقٍ
وَلَا أَكَادُ أَعْرِفني!
/
/
/
أَقُصُّ شَعْرِيَ الطَّوِيلَ
للمَرَّةِ الأُولَى فِي يَقِينِ بَهْجَتِي
/
\
بِلَا مَشَاعِر وَلَا اِنْتِصَار
أَسْمَعُ هسهسةَ المِقَصِّ تَمْضِي
بِرَتَابَةٍ تَحْتَ أُذْنِي وَفَوْقَهَا

يَتَنَاثَرُ سَوَادُ أَيَّامِي عَلَى أَكْتَافِي وَتَحْتَ قَدَمَيّ
فَلَا أَشْعُرُ بِذَلِكَ الانْتِصَار المُؤَجَّل
عَلَى رَغْبَتِهَا القَدِيمَةِ..

لَمْ يَعُدْ يَعْنِينِي الآنَ
أَنْ أَخْتَرِعَ سَبَبًا لِقَصّ شَعْرِي
كَمَا كُنْتُ أَفْعَلُ وَأَفْشَلُ
وَأَفْعَلُ وَأَفْشَلُ
وَأفْعَلُ وَأَفْشَلُ..
فِي حُضُورِها الرَّهِيبِ!
وَلَمْ أَعُدْ أَتَسَاءَلُ؛
مَا الَّذِي يَعْنِيهَا مِنْ كُلِّ هَذَا السَّوَادِ المجلِّل
لَكِنَّ السُّؤَالَ ذَاته يُعَاوِدُنِي؛ لِمَاذَا يَا أُمِّي؟

/
\
\
/
/
أَسْتَكِينُ لِعَاطِفَةٍ مَيِّتَةٍ
تَرْتَمِي فِي حِضْنِي

برسائل هَاتِفِيَّةٍ مُتَلَاحِقَةٍ
مِنْ فَتَايِ المُدَلَّل
أَكْتُبُ قَصِيدَةً سَوْدَاءَ
لَا أَنْشُرُهَا وَلَا أَطْبَعُهَا عَلَى الوَرَقِ
لتبْقى وَمِيضًا أَبَدِيًّا
فِي سَدِيمٍ ظُلْمَتِي
\
/
/
تُنَاوِشُنِي اللَّيَالِي البَعِيدَةُ
فِي دُرُوبٍ بَلَاَ نهايات
أَمْضِي
وَتَمْضِي..
وَأَرْسُمُ ذَلِكَ البَيْتَ الَّذِي لَا أُجِيد رَسْمَ سِوَاه
تَحْتَ ظِلَالِ نَخْلَةٍ ضَاحِكَةٍ وَطُيُورٍ محلقة

وَشَمْسٍ لَا تَغِيبُ أَبَدًا.

وَمَدْخَنَةٍ لَا أَدْرِي لِمَ أَقْحَمْتُهَا
فِي مَشْهَدَيْ الأَثِيرِ!
/

\
\
/
فَتَاي الأَثِيرُ المُشَاغِبُ إِلَّا قَلِيلاً
يُسَامِرُ دَهْشَتِي
فأستسقيه زُلَال الحِكَايَاتِ
/
أَضْحَكُ كُلَّمَا اصْطَفَانِي
لِحَيْرَةٍ مُخْتَبِئَةٍ وَرَاءَ عَيْنَيْهِ الصَّغِيرَتَيْنِ
\
لَا يَضْحَكُ لضِحْكَتِي
لَكِنَّهُ يُغَنِّي مِنْ أَجْلِهَا
فِي محراب عُزْلَتِي
ارْتَمِي كَجُثَّةٍ إِلَّا قَلِيلًا مِنْ نَفسٍ أَخِيرٍ
أَتنفسُهُ عَلَى رَجْع صَدَى الأُغْنِيَّةِ
وَأَسْتَزِيدُهُ صَوتًا مُغويًا تَحْت الضلالةِ بِقلِيلٍ
/
\
\
/
يَخْتَفِي صَوْتُهُ الخَافِتُ جِدًّا

فَأُرهفُ السَّمْعَ لِلأَنِينِ وَحْده فِي الصَّدَى
أَسْتَبْقِيه زَادًا لِلثُّلُثِ الأَخِيرِ
مِنْ لَيْلِ العُمْرِ الطَّوِيلِ

وَأمْضِي،
وَيمْضي..
وَأمْعِنُ فِي غِيَابِي
فَيُمْعِنُ فِي غِيَابِهِ
وَأَخْتَرِعُ مِنْ بَيْنَ أَضْلُعِي صَوْتًا جَدِيدًا
فَيُرَوِّعُنِي بِصَوْتٍ مُبْتَكَر!

/
/
وَأمْضِي
وَيمْضي
بِرَقَبَتَيْنِ ملتويتين لِلوَرَاءِ
وَقَلْبٍ مفطور!

أَنْتَمِي وَلَا أَنْتَمِي
أَسْتَكِينُ لِرَهْبَةِ أَمْكِنَتِي المُتَشَابِهَةِ
وَأُنَاوِشُ رَفِيفَ الأَجْنِحَةِ المحلِّقة

بَعِيدًا عَنِّي
قَرِيبًا مِنْ أَحْلَامِي المتلاشية
أَتَلَاشَى لأَخْتَفِي
وَيَتَلَاشَى لِيُشِعَّ فِي غياهبهم
كُلُّهمْ وَاحِدًا تلو الآخَر
أَذْهَبُ لِيَأْتِيَ...
وَأَمُوتُ تَمَامًا!

كُلَّمَا أَيْقَنْتُ أَلَّا سَبِيل إِلَيْه
فِي صَلَوَاتِي اللَّيْلِيَّةِ!
/
\
\
/
/

بِصَبْرِ الأُمَّهَاتِ وَهُنَّ يخِطْنَ
ثِيَابَ الطِّفْلِ الأَوَّل
وَهُوَ مَا زَالَ فِي رَحمِ الغَيْبِ،
بِشَوْقِهِنَّ لشميم عرنينِهِ،
بِدُمُوعِهِنَّ الخَفِيَّةَ

انْتِظَارًا لِمَنْ هُوَ آتٍ،
بِاحْتِمَالَاتِهِنَّ المُتَزَايِدَة
فِي غَيْبِ الأَشْهُرِ التِّسْعَةِ
وهيامهن المملوء
بِالرَّحْمَةِ وَالأَسَى
بِالأَسَى كُلِّهِ!
/
\
/
بِالخَلْقِ الَّذِي يَتَكَوَّنُ فِي الأَرْحَامِ
حَيَاةً جَدِيدَةً مِنْ حَيَاةٍ قَدِيمَةٍ
بالنطفةِ الَّتِي تَصِيرُ مُضغةً ثُمَّ علقةً
بالعلقةِ الَّتِي تُعَلَّقُ فِي تَضَارِيسِ القَلْبِ
بِالبَطْنِ الَّتِي تَسْتَدِيرُ لِتَحْنُوَ
بِالحُنوِّ الَّذِي يَتَشَكَّلُ فِي الجَسَدِ
بِالجَسَدِ كُلِّهِ ارتصاصاً وَهَيْبَةً
بِهِ خَلْقًا جديدًا
بِهِ جَنْيِنًا متخلقًا مِن العَدَم
بِهِ جَنْيِنًا متخلقًا مِنْ الحَيَاَةِ
بِهِ حَيَاَةً مُضَاعَفَةً
/

\
/

بِهِ.. أُمُومَةً غاربةً
وَارتهانًا لِلَيَالِي المُقْبِلَةِ
بِهِ هُوَ وَحدهُ!
/
\
/

وَحَدهُ تَمَامًا..
فِي القَدِيمِ وَالحَدِيثِ
وَحدهُ جدًّا
فِي المَاضِي وَالحَاضِرِ
وَحدهُ أَبَدًا
في الآتي
/
\
/

وَحدهُ دَائِمًا فِي الكِيَانِ الوَحِيدِ

بِهِ.. كُلِّه
/
\
/

بِمِزَاجِهِ العَسِيرِ
فِي الظَّهِيرَةِ السَّاخِنَةِ
بِمِزَاجِهِ المُتَقَلِّب
عَلَى جَمرَ الذِّكْرَيَاتِ القَلِيلَةِ
بِهِ فِي الصُّوَرِ الفُوتُوغْرَافِيَّةِ
لَطُفُولَةٍ سَعِيدَةٍ وَأَلِيفَةٍ
بِهِ فِي صُورَةٍ مَدْرَسِيَّةٍ
لَا تنبئ بِشَيْءٍ مِمَّا هُوَ آتٍ وَأَتَى!
/
\
/

بِحِكَايَاتِهِ اللَّيْلِيَّةِ الشائقة
بِأُغْنِيَّاتِه الهَارِبَة
مِنْ صَرَامَةِ الأَوْقَاتِ حَوْلَه
بِهِ كُلّـــــــه!

/
\
/

بعذوبتِهِ الرائقةِ
بِاحْتِمَالي فِيهِ!
بِحَرَكَاتِهِ المُضْحِكَةِ
كَمَا لَا يُشِيرُ إِلَيْهَا وقارُهُ المُبْتَكرُ
بِغَمْزَتِهِ السِّرِّيَّةِ
وَابْتِسَامَتِهِ المُوَارِبةِ
بَيْنَ فُصُولِ المُؤَامَرَاتِ الصَّغِيرَةِ بَيْنَنَا
/
\
/

بِهِ كُلّه!
عِنْدَمَا كَانَ سلوْانًا للفَقْدِ أَوَّلاً
وَعُنْوَانًا لِلفَقْدِ أَخِيرًا
/
\
/

بِهِ كُلِّه..!
فِي الصَّوْتِ وَالصُّورَةِ
فِي الشَّكْلِ وَالمَعْنَى
فِي الكَلِمَاتِ التَّامَّات المُحِيطَاتِ
بِهِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ
دَلِيلاً إِلَى وُجُودِي!

/
\
بِهِ وَحَده لِي..!
\
/
بِهِ وَحَده فِي كَلِمَاتِي وَارْتِحَالِي المُؤَجَّل
بِهِ وَحَده وَبِشَوْقِي إِلَيْهِ
بِهِ وَحَده وَبِانْتِظَارِي الكَبِير بَيْنَ يَدَيْهِ
بِهِ وَحَده وبغلوائه فِي الغَضَبِ..
وَلَا سَبَب!
بِهِ وَحَده فِي زحام الأُمُومَةِ البائسةِ

بِهِ وَحَده

فِي الشَّكِّ الَّذِي يتآكلني
وَيَسْتَزِيدُ كُلَّمَا عَنَّ لِلعُمْرِ
أَنْ يَسْتَزِيدَ
بِاِقْتِرَاحَاتِه العدميةِ المُرِيبَةِ
وَبِحَدَائقِه السِّرِّيَّة الَّتِي يَزْرَعُهَا
بِأَشْجَارٍ لَا تُرى
إِلَّا بِعُيُونِ القَلْبِ
بِعُيُونِه اللَّامِعَةِ فِي ظُلَمَةِ القَلْبِ
بِجَنِينِي الَّذِي أَنْجَبَنِي
مِنْ بَيْنَ الأَسَى والسلوان!

/
\
/

بِهِ وَحده..
وَحده فَقَطْ
أَصِيرُ كَمَا يَنْبَغِي
وَأَتَخَلَّقُ مِنْ العَدَمِ وَالضَّوْءِ وَالكِتَابَةِ
وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ يُوَدِّي بِي
إِلى هلاكاتٍ مُتَوَقِّعَةٍ

أَصِيرُ أَنَا!
/
\
\
/
فِي سِيَاقِ المِزَاجِ
يَبْدُو كُلُّ شَيْءٍ وَاضِحًا
كَمَا لَا يَتَوَقَّعُهُ أَحَدٌ
وَعَلَى مِزَاجِهِ الحُرِّ
أُرَاهِنُ مِزَاجِي المُتَرَدِّدَ
كُمُونًا بَينَ الاِحْتِمَالَاتِ
/
\
مِزَاجُهُ مِزَاجِي
فِي الوَقْتِ وَالمَكَانِ
فِي الصَّوْتِ وَالرَّائَحَةِ
فِي الجُغْرَافِيَا الَّتِي لَا تُرى
إِلَّا فِي الأَفْلَامِ السِّينِمَائِيَّةِ الرائقةِ
/
فِي الصَّبَاحِ وَالمَسَاءِ
وَتَحَوُّلَاتِ مُنْتَصَفِ اللَّيْلِ

فِي الهزيعِ الأَخِيرِ مِن الحُبِّ
فِي الهزيعِ الأَوَّلِ مِن القَلْبِ
/

فِي هزيعِ المُنْتَصَفِ مِنْ الأُمُومَةِ!
/
\
/

فِي الأَفْكَارِ الَّتِي نَتَحَلَّبُهَا مِنْ سَمَاوَاتِ اللهِ
وَفِي الأَقْمَارِ الَّتِي تُشِعُّ
فِي ظلامات اللَّيَالِي الشَّتَوِيَّةِ
/
\
/

وَفِي صَوْتِهِ القَدِيمِ الحَمِيمِ
صَوْتهِ المُبَاغِتِ
فِي حنوِّه وَفِي تَرْحَالِهِ
المرتوي بِالدُّمُوعِ
/

/
المُرَاوِغِ بَيْنَ ضِحْكَةٍ وَأُخْرى
النَّائِي حَتَّى أَطْرَاف السَّمَاءِ السَّابِعَةِ
القَرِيبِ حَتَّى سُوَيْدَاء القَلْبَ
الشَجيِّ الحييِّ الرَّخِيمِ!
/
\
\
/
فِي حياءِ صَوْتِهِ
فِي رَعْشَةَ بدَايَاتِهِ
وَفَخَامَةِ نهايَاتهِ
فِي شَجَنِهِ وَشَجْوهِ
فِي مِائهِ الفَائِض عَنْ الحَدِّ
فِي حُدُودِهِ الحَادَّةِ
/
\
/

فِي الحِكَايَاتِ الكَامِنَةِ خَلْفه
فِي اسْتِكَانَتِهِ القُصْوَى

/
\
/

فِي اشْتِعَالَاتِهِ البَاهِرَةِ
إِذْ يَسْتَعِيدُ ذِكْرَيَاتِ الأورغِ المُخْتَبِئِ
بَيْنَ أَوَامِرِ الآخَرِينَ بِالرَّزَانَةِ!
/
\
/

فِي عتْمَتِهِ عِنْدَ حُدُودِ القُطْبِ الشِّمَالِيِّ للغوايةِ
فِي إشراقاتِهِ قُبَيْلَ الفَجْرِ
أَوْ بَعْده بِقَلِيلٍ
/
فِي اندغامهِ مَعَ الأَسَى
وَفِي الضَّحكاتِ المُنَاوِئَةِ لِكُلِّ فَرَحٍ
فِي فَرحهِ النَّاقِصِ دَوْمًا.. دَوْمًا
/
\
/

فِي فَرْحَتِهِ الكُبْرَى!
المُبْتَسرَةِ بِالضَّرُورَةِ
فِي ثغْرَاتِهِ الخَافِيَةِ إِلَّا عَنِّي
فِي ثغْرَاتِهِ الَّتِي أَكْمِلُهَا بِنَشِيجِي
فِي ثغْرَاتِهِ الَّتِي لَمْ أَعُدْ أَسْتَطِيعُ
أَنْ أَرْدِمَهَا بِفَائِضِ نَشِيجِي!
/

فِي غِيَابِهِ المُرْتَبِكِ
فِيهِ كُلِّه..!
/
\
\
/
كَأَنَّهُ صَوْتِي الَّذِي تَرَكَتْهُ
عِنْدَ الثَّامِنَةِ مِنْ عُمْرِي
يَتِيمًا عَلَى حَافَّةِ الهِجْرَانِ
/

تَرَكْتُهُ لِاحْتِمَالَات القَسْوَةِ كُلَّها

فِي شَوَارِعِ الفَقْرِ وَالثَّرَاءِ مَعًا
/
\
/
صَوْتِي الَّذِي اسْتَرَاحَ لِبحَّتِهِ وَغَابَ
صَوْتِي الَّذِي يَغِيبُ
كُلَّمَا اكْتَمَلَتْ قَصِيدَةٌ بَيْنَ المَرَايَا المُتَقَابِلَةِ
حَيْثُ لَا يَكُونُ الكَمَالُ أَلَا كَذبَة مضْحَكَةَ!
/
\
\
/
صَوْتِي الكارتونيُّ المُضحكُ
صَوْتِي المُهَاجِرُ بَعِيدًا عَنْ جَسَدَي
بَاحَثًا عَنْ زَمَانٍ أَكْثَر لِيَاقَةٍ
وَمَكَانٍ أَوْسَع مِنْ جَسَدِي الضَّئِيلِ..!
/
\
/

صَوْتِي المتحلُّب مِنْ بَقَايَا النَّشِيجِ

وَكَأَنَّهُ بُكَاءٌ مَحْبُوسٌ أَوْ غُصَّةٌ مُتَوَقَّعَةٌ
صَوْتِي العَنِيدُ
النَّاقِصُ البَلِيدُ
/
\
/

صوتي الَّذِي لَا يَكْبُرُ أَبَدًا
وَلَا يَقْوَى عَلَى الغِنَاءِ أَوْ البُكَاءِ أَوْ الهَمْسِ
المَكْسُورُ..
المُنْطَوِي..
الحَادُّ..
/

/
صَوْتِي..؟

أَمْ تَرَاهُ فَضِيحَتِي السَّارِيةَ بَيْنَ الأسماع
لتُعْلِنَ نقصيتي الخَافِيَةَ؟
//

/

صوتي.. صوتي
شُؤْمِي الوجودي المُكْتَمِلُ فِي الحنْجَرَةِ
المُخْتَبِئُ فِيَّ
صَوْتِي النِّهَائِيُّ دَائمًا
صَوْتِي الَّذِي يخذلُ القَصِيدَةَ
كُلَّمَا حَانَ وَقْتُهَا المُبَاغِتُ أَمَامَ المِرْآةِ
أَوْ وَقْتُهَا المُنْتَظَرُ أَمام عُنْفِ الميكروفونات
/
/
صَوْتِي المُنَاوِئُ لرَعْشَةِ الأُغْنِيَّةِ
صَوْتِي الَّذِي لَا يُجِيدُ الانْسِيَابَ
فِي مَجَارِي الهوَى
وَلَا يُجِيدُ الاِخْتِزَال
وَلَا النَهاياتِ الضَّاحِكَة لِلكَلِمَاتِ..!
/
صَوْتِي العَنِيدُ
الصقيلُ
الصَّغِيرُ
المُخْتَنِقُ بِأَنِينِهِ وَرَيْبَةِ الأنا فِيهِ

صَوْتِي المُسْتَفِزُّ للدَّمْعَةِ السَّاقِطَةِ
فِي مُسْتَقَرِّ رَحْمَتِهَا..!
/
\
/

صَوْتِي السَّاقِطُ مِنْ ثغْرَاتِ صَوْتِهِ
صَوْتِي المُسْتَقِرُّ فِي نُتُوءِ حنْجَرَتِهِ
كَلَّمَا غنىّ لِي «سامريتي» القَدِيمَة:
«يَا جرِّ قَلْبَي جَرّ لدْن الغُصُونِ
وغُصُونِ سِدَرٍ جَرَّهَا السَّيْل جَرَّا»[1]
/
\
\
/
/
هَا هِيَ الغُصُونُ اللدنةُ
تَخْرُجُ مِنْ حَنْجَرَتِهِ الفَخْمَةِ
لِتَلْتَفَّ كَشَرَابِينَ حولَ رقبتي!

سُلُّوًا للموات

وَدَفَعًا لحَيَاةٍ لَا تَتَخَلَّقُ
بِلَا حُلْمٍ وَلَا أُفْقٍ
وَلَا حَتَّى انْتِظَارٍ سقيم!
/
/

صَوْتِي المُخْتَلِفُ وَغَيْرُ المؤتلف مَعَ صُورَتِي
صَوْتِي العليلُ
الَّذِي يُجيدُ المَطَرَ أَحْيَانًا
لَكِنَّهُ لَا يُجيدُ الانهمار وَلَا السَّيْلَ
صَوْتِي الَحَارِقُ المُحْتَرِقُ
الطَّالِعُ مِنْ كُهُوفِ الأَبْجَدِيَّةِ
مَحمَّلًا بِالرَّهْبَةِ والنواح
صَوْتِي الكسيحُ فِي مَلَاعِبِ الغِنَاءِ وَالبُكَاءِ
/
\
صَوْتِي المَرِيضُ
وَجَنَاحِي المهيضِ
هاهو يُهَيمْنُ ثَانِيَةً
وَهَا أَنَا أحَلِّق بِهِ مِنْ دُونِ أَنْ أطير
هَا هُوَ جَنَاحي الوَحِيدُ المُتَعَالِي رغْمَ انكساراته المُتَتَالِيَة!

/
\
/

أَيُّ جَنَاحٍ مِثْلُه يُمْكِنُ أَنْ يَطِيرَ؟
لَهُ فَضَاءٌ وُسَمَاءً فِي غُرْفَةٍ صَامِتَةٍ
وَلَهُ الحُجبُ كُلُّهَا
وَلَهُ الظلاماتُ والقياماتُ الأَخِيرَةُ
وَلَهُ سُمُوٌّ خَفِيٌّ
وَلَهِ سُمُوٌّ ظَاهِرٌ
/
\
\
/
/
جَنَاحِي...
/
رَهَافَتِي المَفْقُودَةُ دومًا،
وَكِبْرِيَائِي القَتِيلُ
حَرْبِي وَسَلَامِي
فِي اللَّيْلَةِ الأَخِيرَةِ لِي عَلَى هَذِهِ الأَرْضِ

مَوتِي ومحياي
نَحْوَ جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ
أَرْضِي كُلّها...
أَشْجَاري كُلُّها...
بحاري وَأَنْهَارِي الَّتِي شَقَقْتُهَا بِأَظْفَارِي
فِي انْتِظَارِ وَطَنٍ
بِلَا بِحَارٍ وَلَا أَنْهَار..!
/
\
\

سَمَاوَاتي الَّتِي مَدَدْتُها
كَيْ تَكْفِيَ أَنْجُمِي المُبَعْثَرَةَ تَحْتَ الطَّاوِلَاتِ
وَبِين أكداسِ الكُتُبِ المغْبرَّةِ

/

أَطْفَالي المَوْتَى
فِي قُبُورِهِم السَّاكِنَةِ تَحْتَ السَّفْحِ
أَطْفَالي الأَحْيَاءُ كَالمَوْتَى
فِي أَسِرَّتِهِمْ الكَبِيرَةِ

عَلَامَاتي الَّتِي زَرَعْتُهَا كَنَبَاتَاتِ صبَّار
علَى الطَّرُقِ المُؤَدِّيَةِ إِلَى المَقْبَرَةِ
وَاللَّافِتَاتُ الَّتِي كَتَبَتهَا بِخَطِّي المُرْتَعِش
وَعَلَّقَتُ وَاحِدَة مِنْهَا
عِنْدَ كُلِّ صبارةٍ فَائِرَةٍ:
«السَّلَامُ عَلَيْكُمْ
دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ،
وَإِنَّا إِنْ شَاءَ الله
بِكُمْ لَاحِقُونَ»!

/
\
\
/
/

جَنَاحِي..
يَا جَنَاحَي اليَتِيم

فِي زِحامِ الشَّوَارِعِ الخَلْفِيَّةِ
يَا جَنَاحِي المتهادي
فِي العَتْمَةِ
بَاحَثًا عَنْ غُصْنٍ مَنْسِيٍّ
/
\
/

يَا جَنَاحِي الَّذِي أحبُّ
وَالَّذِي أَسَميْتُكَ بِاسْمِهِ

/
\
\
يا جَنَاحِي الغَيُورَ عَلَى وحْدَتِي
فِي السَّنَوَاتِ الَّتِي مَضَتْ
وَالسَّنَوَات الَّتِي رُبَّمَا سَتَأْتِي!
/
\
/
يَا جَنَاحِي الَّذِي لَا يَطِيرُ

يَا جَنَاحِي المُهَيْمِنَ
فِي مَلَكُوتِ الأَسَى والضيم
وَالطَّاوِي الرِّيشَ فِي الحلكة
والمتهاوي قَرِيبًا
وَالحَبِيبَ السلَيب

كَأَنَّكَ فَتَاي المُدَجَّج بِالعَائِلَةِ وَالدِّفْءِ

... وَلَا دِفْء!

/
\
\
/
/
وضِلْعِي..!
المُنْحَنِي كَظَهْرِ عُودٍ
المُنْحَنَى عَلَيْهِ كَعُودٍ
السقيم
اليَتِيمُ
الحَمِيمُ!

/
\
الجَرِيحُ..
كَغَيْمَةٍ تَسَيلُ مَطَرًا فِي أَوَاخِرِ الخَرِيفِ
النَّابتُ عَلَى حَافَّةِ نِصْفِ قَرْنٍ
مِنْ الَتَيْهِ وَاللَّذَّةِ النَّاقِصَةِ
السَّاكِنُ السَّاكِتُ الكظيم
/
/
المُرْتَعِشُ كُلَّمَا عَنَّتْ لِأَحَدٍ مُلَاطَفَةُ الغوايةِ
لمنبهرٍ بِكُلِّ غوايةٍ..
المهترئ كَزَمَنٍ مَاضٍ
وَالَّذِي لَا يَسْتَقِيمُ لِيَنْكَسِر
يحْسدُ وَتَدَ الخَيْمَةِ فِي وحْدَتِهِ البَارِدَةِ
وَيَنْزَوِي فِي الدِّفْءِ
وَلَا دِفْءِ!

/
\
\

/
/

وعَيْنَاي...!

يَا عَيْنَيّ الشحيحتي الضَّوْءَ
المنطفئتين كَنَيْزَكَيْنِ قَدِيمَيْنِ
المُنْهَمِرَتَين بِأَسَاهمَا المتوارَثِ
الذاهلتين فِي حلكة اللَّيْل
وَالشَّائمَتَينِ عَنْ شُمُوسٍ مستريبة
الشائهَتين
الخَائفَتَينِ مِنْ مَشَارِطِ الأَطِبَّاءِ المُنْتَظَرَةِ
وَالمُخْتَبِئَتَينِ وَرَاءَ الزُّجَاجِ
النَّازِلَتَينَ فِي بِئْرِ الخِيَانَةِ
الطَّالِعَتَينِ نَحْوَ سَمَاءٍ...!

/
/

المُنْتَظرَتَين دَوْمًا وَعُدًا
وَلَا وَعْد..!

يا عَيْنَيي الغائمتين لَيْلًا
بِدَمعٍ لَا يَتَحَدَّرُ
اللَّامِعَتَين نَهَارًا بدَمع لَا يبَينُ
الشَّارِدَتَين وَرَاءَ الكَلِمَاتِ
التَّائِهَتَين بَيْنَ أَسْطُرِ المعاجم وَالقَوَامِيس
المحتميتَين بعَدَسَتَيْنِ لَاصِقَتَيْنِ
وَكَثِيرٍ مِن الرَّيْبَةِ
لُقْمَتَيِ السَّهَرِ السَّائِغَتَينِ
على مَائِدَةِ اللَّيْلِ..!
/
\
\
/
/

وأصابعي..
أصابعِي؟
تِلْكَ الأَصَابِعُ النَّحِيلَة
كَفَزَّاعَةٍ لَا تُخِيفُ الطُّيُور
وَلَا تُعَرْقِلُ تَصَارِيف الرِّيَاحِ

ولَا تَنْمُو كَشُجَيْرَاتٍ صَحْرَاوِيَّةٍ
فِي غِيَابِ المَطَرِ وَعِنَايَةِ الضَّجَرِ!

المنغرسةُ فِي الكَفَّيْنِ المعروقين
كَأَرْوَاحٍ شِرِّيرَةٍ
المنهزمَةُ فِي كُلِّ مَعْرَكَةٍ مَعَ الكَلَامِ المَكْتُوبِ!

المتواريةُ خَلْفَ الظُّنُونِ
الدَّقِيقَة جِدًّا
المُرْتَعِشَةُ فَوْقَ الطَّاوِلَاتِ المنزوية
كَعَصَافِير جريحة
المُحَاصَرَةُ بالوَجَعِ السَّائرِ
فِي عُرُوقِهَا النَّافِرَة كَسَيْلٍ!

/
\
\
/
/

يَتَسَاقَطُ النَّيْزَكُ الْأَخِيرُ

وَتَتَهَاوَى السَّمَاءُ الثَّامِنَةُ
وَتُحِيقُ بِالشُّمُوسِ الْبَاقِيَاتِ
النَّجْمَاتُ الْبَاقِيَاتُ

\
\
/
/
\
/

تَأْسِرُنِي كَلِمَاتُ الْغيابِ،
أَتَتَبَّعهُ وَأَتَتَبَّعهَا،
أَتَتَبَّعهُ كَعَدُوٍّ مُبينٍ
وَأَتَتَبَّعُهَا كَسِلَاحِ فَتَّاكٍ
وَحدها قَادِرَة عَلَى الثَّأْرِ لِي مِنهُ،
فكلّما بَاغَتَنِي غيابُ أَحَدٍ
مِمَّنْ لَا أَقوى عَلَى غيابه
أَسْتَعِينُ بِالْكَلِمَاتِ

أَلْجَأُ إليها
كَتَعْوِيذَةٍ لِلتَّلَاشِي أحيانًا
وَلِلْيَقِينِ أَحَيَّانًا أُخْرَى!

مِنْ أَين يَأْتِي الْغَائبونَ
بِالطَّاقَةِ الَّتِي يَسْتَطِيعُونَ بِهَا
مُمَارَسَة الْغيابِ؟
/
/
هَا هُوَ يغَيب غيابَهُ الْكَبيرَ الْمُوَارِبَ
فَلَا يَترك لي فُرْصَةَ الوَداع الْقَمِيء
وَلَا ذِكْرَيَاتٍ مُصْطَنَعَة!
/
\
\
غيابُهُ الصَّافِي كَغَيْمَةٍ
فِي سَمَاءِ صَحْرَاء
يَلتمعُ فِيَ سَمَاءِ قلبي
وَلَا مَطَر!
/
\

\
/
/

غيابُهُ وَحْده الْغياب
وَهُوَ لَيْسَ بِغياب
/
\
/

غيابٌ بِكَلِمَاتٍ تُبَاغِت صمَتي الثَّقِيل
برِسَالَةٍ هَاتِفِيَّةٍ تَرِنُّ أَمَامي وَتُضِيءُ
فَأَعْرِفُهَا مَنْ دُونَ قِرَاءة
أُؤَجِّلُ قِرَاءتهَا

اِسْتِدْرَاجًا لطيوفِ الْمُتْعَة الْقَدِيمَة
أُؤَجِّلُنِي كلي
فِي ضِيَافَتِهَا السَّرْمَدِيَّةِ
أُؤَجِّلُنِي لَعَلَّه يَشْعُرُ بِحُضُورِي
فِي كينونته الصَّغِيرَة
لَعَلَّه يَتَوَارَى فِي خَجَلِهِ

وَهُوَ يَقْرَأ أغنِياتي الصَّامِتَة
وَهُوَ يَرْتَجِل أَلحَانهَا

وَيُدَنْدِنُ ببَقَايَا غيتارهِ الْمَكْسُورِ
فَيَهبُها شَيْئًا مِنْ بحْتِي الْخَجُولِ
وَهَمستي الْقَتِيلَة
/
\
\
هُوَ وَحدهُ الْقَادِرُ
عَلَى اسْتِدْرَاج الْبحة الْخَجُولِ وَالْهمسةِ الْقَتِيلَةِ
بِلَحْنِهِ الْمُرْتَجلِ وَحَسْب!

/
/
/

أَوتَارُ غيتاره الْمَكْسُور
وَحدها مِنْ تَسْتَجِيبُ لتِلْكَ الْبحَّة وَتُغْوِيهَا
كَيْ تؤوبَ إلى رُشِد اَلْغِنَاء!

/

الْغِنَاءُ الْحَبيس
فِي صُدُورِ السَّنواتِ الْمَاضِيَةِ كُلِّها
هَا هُوَ يَتَدَفَّقُ عَلَى حَافَّةِ الْوَتَرِ الَّذِي يَلُمّ طرَفيّ
الغيتار!
/
\
\
/
/
مِنْ أَيْنَ لِي بوَتَرٍ ضَامِرٍ كَهَذَا
فِي مَجرّتَي الْكَوْنِيَّةِ الْغَارِقَةِ فِي بَهجَتِهَا وَأَساهَا؟
/
\
\
/
/
سَأَبدأُ الحِكايةَ الآنَ مِن جَديدٍ:
لُؤْلُؤَةٌ سَائِلَةٌ
غمستُ كَفِي الْيُمْنَى فِيهَا

فتبلرتْ وانكوتْ حَتَّى الْاِحْتِرَاق
لَذَّ لِي أَنْ أُبقي كَفِي،
\
/
/
الْأَلَمُ الَّذِي أَيَقظَنِي مِنْ سُباتِ الْأَحْلَامِ الْجَمِيلَةِ
لَمْ يَكُنْ قَادِرًا عَلَى مُقَاوَمَةِ رَغِبْتِي
فِي إِبْقَاء كَفِي منغمسةً
فِي ذَلِكَ السَّائل اللؤلؤي
بِلَوْنِهِ الرَّمَادِيِّ الْفَاتِحِ
لَمْ يَكُنْ أَبيضَ نَاصِعِ الْبَيَاض
كَمَا لُؤْلُؤ الصُّوَرِ الْفُوتُوغرَافِيَّةِ،
وَلَمْ يَكِنْ رَمَادِيًّا
بِالدِّرجة الَّتِي تَجْلُبُ لِقلبَي
حزْنًا إِضَافِيًا،
وَلَكِنَّه الرَّمَادِيّ الَّذِي يُشبِهُ لَوْنَ غَيْمَةٍ
تَتَضَاءَلُ تَحْتَ شَمْس الظَّهيرَةِ
قَبْلَ أَنْ تهطلَ عَلَينَا بِمَطَرٍ مُفَاجِئ:
«أَنَا هُنَا.. هُنَا"!
لوّح لِي بِكَفِيِّهِ الْكَبيرَتَيْن رغَمَ ضَآلَةِ قَامَتِهِ
فَالْتفتُّ لِحَمامَتَيْنِ احْتَلَّتَا مِسَاحَتَهمَا

عَلَى سورِ قلبي
.. لَمْ تَجْرؤان عَلَى الْعُبُورِ وَلَا عَلَى التَّرَاجُعِ!

رَاقَ لهُمَا كَمَا يَبْدُو أَنْ تَقِفا هَكَذَا..
وتقتفيَا آثَار الْحَمَائِمِ الَّتِي كَانَتْ تَقِفُ عَلَى السِّور وتطير..!
وَبِرِيشِهما النَّظِيفِ حَتى لكَأَنُّه لِلتَّوِّ نَبت
تُنَظِّفان تِلْكَ الْآثَار!
...
/
\
\
/
/
كُلُّ سَبْتٍ
أَتَكُونُ من جَديد
أَتَخَطَّى كُلّ الذِّكْرَيَاتِ الْمَاضِيَةِ وَالْمُحْتَمَلَةِ غَدًا،
لأَبْدو كَمَا أَنَا فِي اللَّحَظَةِ تَمَامًا
أَحَكِي، وأبكِي،
وَأَضحَكُ وَأُحِبُّ..
/

\
\
/
/
كَانَ الْبِئْرُ الَّذِي يمتلئُ تَدْرِيجِيًّا طُوال أيَّام الأسبوع
بِالْكادِ يَجُفُّ
عند نهايةِ الساعتين
/
\
ينزوي فَتَايَ الصَّغِيرُ الْمَذْعُورُ
كَأَرْنَبٍ فَاجَأَهُ ضَوْءُ السَّيَّارَةِ قَبْلَ أَنْ يَخْشَى صَوْتَ
مُحَرِّكِهَا الْهَادِرِ
فِي رُكْنِهِ الْمُفَضَّلِ عَلَى السِّور
.. لَا يَعْبَرُ
وَلَا يَتَرَاجَعُ!

/
\
\
/
/

لَمْ أَعدْ أَحرصُ عَلَى التَّأَنُّقِ في الْحِكَايَاتِ
وَلَا فِي سَرْدِها،
وَلَمْ أَعدْ أَعرفُ بداياتها وَلَا نهاياتها..

كَانَتْ حكاياتي تَأْتِيَنِي مِنْ فَجَواتٍ غَائِرَةٍ
فِي عُمْقِ روحي،

وَدَمُهَا يسَيل مِنْ جروحٍ كُنت أَظَنُّهَا قَدْ الْتَأَمتْ
مُنْذُ أَنْ تَصَالَحْتُ مَعَ نَفْسي ذَات يَوْمٍ
وَأَنَا أَجْلِسُ أَمَامَ مرآتي وَأَتَّخِذُ قَرَارَيْ الْكَبِير:
"يا امرَأَة.. يا امرأة
لا حُزْنَ بَعْدَ الْآنَ
وَلَا كَآبَة يمكنها أَنْ تَخْتَرِقَ السُّدُلَ

سَيكونُ كُلُّ شَيْءٍ عَلَى مَا يُرَامُ
وَأَنْتَ تَبْتَسِمِين
تَدَرِّبي قَلِيلًا
حَتَّى وَإِنْ كَانَتْ أَسْنَانُكِ الْأَرْنَبِيَّةُ الْمُعْوَجَّةُ
لَا تُسَاعِدُكِ عَلَى ذَلكَ
ابْتَسِمِي رغَمَ صُفْرَة أَسْنَانِك الطَّبِيعِيَّةِ
وَرغْم مَلَامِحِك الْمُكْتَئِبَةِ..

سُرْعَانَ مَا تَتَآلَفَ الْعَضلَاتُ
وَتَنْسَجِمُ مَعَ تِلْكَ الْابْتِسَامَة الْمُزَيَّفَة
وَلَنْ تعودَ مُزَيِّفةً

اِبْتَسِمِي دَائمَا وَكَثِيرًا وَلَا تخَشي شَيْئًا
ابْتَسِمِي لَكَ وَلهُمْ

وَاِبْتَسِمِي للْفَرَاغِ الْمُحِيط بك
وَلِبَيَاضِ جُدْرَانَ غُرْفَتِك الْبَارِدِة
..
اِبْتَسِمِي لمِرْآتِك وَلَا تَخَشيهَا..
اُنْظُرِي إِلَيها
لمَاذَا تَخَافِينَ مِنهَا؟
لَمَاذَا تَهرُبَيْن مِنهَا؟"
/
\
\
/
/
وَاِلْتَأَمت الجروحُ،
هَكَذَا كُنت أظَنُّ،

كلَمَّا وَاجَهْتُ مرآتي بابتسامتي الَّتِي تَرَسَّخت
وَلَمْ يَعدْ مِنَ السَّهلِ عَلَى أحَدٍ أَنْ يَكْتَشِفَ سرَّها الْمُزَيّف
لَمْ تَعدْ كَذَلِكَ أَصْلًا!
..
وَلَا جروح وَسطَ كلماتي الَّتِي نسيتُها على حافة القصيدة
...
فَمِنْ أينَ لِي أَنْ أَقْتَفِي أثرَ كلماته الْمُبْهَمَة
وَأسْئِلَتِهِ الْقَصِيرَةِ كَسَكاكينَ؟

/
\
\
/
/
مرةً أُخرى أحاول البَدْءَ:
كَيَقِينِ المَلَائكَةِ المُستكين
اِكْتَمَلُ بِكَلِمَاتِهِ
تُرَاوِدُنِي رَغْبَتِي المستعرةُ عَنْ فَرْطِ غِيَابِي
فَأَجِدُهُ سُؤَالًا منزويًا بَيْنَ أَضْلُعِي
لَائذًا بِخَوْفِي
يَرْسُمُنِي بِمَحْضِ حنوِّهِ أَيْقُونَةً لِلبَهَاءِ

وَيُخَاتِلُ صَمْتِي بِأُغْنِيَّةٍ حُلْوَةٍ
كَاِحْتِمَالَاتٍ يَطْرَحُهَا البَحْرُ
عَلَى حَافَّةِ اليَابِسَةِ القَرِيبَةِ
يَكْتُبُ قَصَائِدَهُ
كَاِحْتِمَالَاتٍ يَطْرَحُهَا البَحْرُ
عَلَى حَافَّةِ السَّمَاءِ البَعِيدَةِ
لِيُتَمِّم هَوَامِشَهَا

ويَغيب!

تأبين لحظات ميتة

حَفْرًا فِي الدَّاخِل،
نَمْضِي نُفَتِّشُ عَنْ لَحَظَاتِنَا الجَمِيلَةِ
الَّتِي مَضَتْ مِنْ دُونِ وَدَاعٍ وَلَا تلويحةٍ أخيرة
ولا صُورَةٍ فُوتُوغْرَافِيَّةٍ للذِّكْرَى.
لَحَظَاتُنَا الَّتِي اِنْسَرَبَتْ فِي شُقُوقِ العُمْرِ،
فَضَاعَتْ بِلَا تَنْوِيهٍ وَلَا إِعْلَانٍ وَلَا دَمْعَةِ حُزْنٍ!
لَحَظَاتُنَا الَّتِي ضَاعَتْ كَأَنَّهَا لَمْ تَكُنْ،
هِيَ الَّتِي نَعْرِفُ الآنَ أَنَّنَا لَمْ نَكُنْ أَبَدًا لَوْلَاها
لَحَظَاتُنَا الَّتِي مَضَتْ،
وَلَمْ نَكْتَشِفْ أَنَّهَا مَضَتْ إِلَّا الآن..

/
\
/

لَحَظَاتُنَا الَّتِي عِشْنَاهَا كَعُمْرٍ كَامِلٍ
رَغْمَ أَنَّهَا مُجَرَّدُ لَحَظَاتٍ عَابِرَة ً
لَمْ نَكُنْ لِنَهْتَمَّ بِتَوْثِيقِهَا وَلَا تَصْوِيرِهَا وَلَا تَخْلِيدِهَا،
وَلَمْ نَكُنْ لِنَسْتَطِيعَ عَلَى أَيَّةِ حَالٍ!.

/
\
\

/
/

لَحَظَاتُنَا المغمَّسةُ بالحَلِيبِ وَالقِرْفَةِ
وَحَبيبَاتِ السُّكَّرِ النَّاعِمَةُ الَّتِي نَتَذَوَّقُ نَكْهَتَهَا
قَبْلَ أَنْ نَسْتَلِذَّ نَسغَ طَعْمِهَا
فَتَثُورُ كَوامنُ الشَّهْوَةِ
وَتَلْمَعُ الحَدَقَاتُ بَلُونِها السِّحْرِيّ
وَيَسْتَعِرُ الجَسَدُ بَحْثًا عَنْ يَقِينِهِ الأَبَدِيِّ
\
/

لَحَظَاتُنَا الفَائِرَةُ بالرَّغْبَةِ الحَقِيقِيَّةِ
بَعْدَ أَنْ تَحَقَّقَتْ خَيالاتُنا المُحَرَّمَةُ
عَلَى حِينِ وَجْدٍ مُفَاجِئٍ
لَحَظَاتُنَا الخَالِدَةُ،
رَغْمَ أَنَّهَا بِالكَاد حَدَثَتْ وَمِضَتْ!
/
\
كَرَعْشَةٍ يَدِينِ تَتَمَاسَّانِ للمَرَّةِ الأُولَى تَحْتَ مِظَلَّةِ العِشْقِ،
أَوْ كَانْتِفَاضَةِ عُصفورةٍ مُحلِّقةٍ فِي ظِلَالِ غَيْمَةٍ،

أَوْ كبارقٍ فِي سَمَاءِ الصَّيْفِ..

/
لَحَظَاتُنَا الخَالِدَةُ وَحَسْبُ!

/
\
حَفْرًا فِي تَارِيخِنَا الشَّخْصِيِّ نَمْضِي
بِخُطُوَاتِ الحَذرِ والتَؤُدَةِ أُوَلا،
قَبْلَ أَنْ تَتَحَوَّلَ إِلَى هَرْوَلَةٍ بِسُرْعَةِ
تَصْرُم السَّنَوَاتِ بَعْدَ الأَرْبَعِينَ،
مُصِرَّيْنِ عَلَى العُثُورِ عَلَيْهَا وَاسْتِعَادَتِها!.
هَلْ تَعُودُ لَحَظَاتُنَا الخَالِدَةُ
هَلْ نَسْتَحِقُّهَا ثَانِيَةً؟
نَحْنُ الَّذِينَ أَضَعْنَاهَا
مَعَ سَابَقِ الإِصْرَارِ وَالنَّزَقِ؟

أَضَعْنَاهَا لأَنَّنَا لَمْ نَكُنْ نُدْرِكُ
أَنَّهَا تَسَاوِيَ العُمْرَ السَّابِقَ وَاللَّاحِقَ كُلَّهُ

وَلَمْ نَكُنْ نَتَخَيَّلُ أَنَّنَا سَنَبْحَثُ عَنْهَا ذَاتَ يَوْمٍ،

مُسْتَعِدِّينَ لأَنْ نَسْتَبدِلَهَا
بِكُلِّ لَذَائِذِنَا المُعْلِنَةِ
كَفَرَحٍ لنَا وَلِلآخَرِينَ..
وَلَمْ نَكُنْ نَعِي أَنَّنَا سَنَبْكِي
وَسَنَحْتَرِقُ فِي سَعِيرِ النَّدَمِ عَلَيْهَا،
بَعْدَ أَنْ نَكْتَشِفَ عَجْزَنَا التَّامَّ عَنْ تَقْلِيدِهَا
أَوْ اسْتِعَادتِهَا
أَوْ حَتَّى اِسْتِعَادَةِ لَذَّتِنا عِنْدَمَا عِشْنَاهَا..!

/
\
\
/
/

لَا نَمْلِكُ مِنْ لَحَظَاتِنَا الخَالدَةِ الآنَ
سِوَى تِلْكَ الظِّلَالِ الحَزِينَةِ
المُوَشَّاةِ بالعِطْرِ وَالخَيَالِ باسْمِ الذِّكْرَيَاتِ..
لَكِنَّ الذِّكْرَيَاتِ لَيْسَتْ سِوَى خَيَال مآتةٍ
تُفْزِعُ الطُّيُورَ العَابِرَةَ للحُقُولِ
وَتَسْخَرُ مِنْهَا الأَعْشَاشُ المُكْتَنِزَةُ بِبَيْضِهَا وَطُيُورِهَا

المُقِيمَةِ!.
حَفْرًا إِلَى الدَّاخِلِ نَمْضِي،
نَتَكَوَّرُ عَلَى أَنْفُسِنَا،
نُحَاوِلُ أَنْ نَعُودَ بِظُهُورِنَا
إِلَى غَابِرِ الفَرَحِ وَالدَّهْشَةِ،
فَنَعُودُ لِكُلِّ شَيْءٍ مَاضٍ
إِلَّا الفَرَحِ وَالدَّهْشَةِ وَالارتعاشات الأُولَى!
نَتَحَيَّنُ الفُرْصَةَ
لِنَتَحَدَّى الحَيَاةَ فِي قُدْرَتِنَا عَلَى اِمْتِلَاكِ كُلِّ لَحَظَاتِنَا
فَتَمُدُّ لَنَا لِسَانَهَا
سَاخِرَةً مِنْ عُنْفُوَانِنَا المُنْتَحرُ تَحْتَ أَقْدَامِهَا!.
/
\
\
/
/

حَفْرًا إِلَى الدَّاخِلِ نَمْضِي...
فَلَا نَجِدُ مَا نَبْحَثُ عَنْهُ،.
وَلَا نَجِدُ أَنْفُسَنَا،
وَلَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نُكْمِلَ المُضِيَّ!.

أَيُّ مَأْزِق؟!

حِبْرٌ ودَمٌ

لِلشَّوْقِ أَجْنِحَةٌ..
لَا تَصْلحُ لِلطَّيَرَانِ بِالضَّرُورَةِ..!

/
\
\
/
/

اللَّيْلُ..
المُحَرِّضُ الأَكْبَرُ
عَلَى كُلِّ ثَوْرَاتِ الكِتَابَةِ،
وَلَوْلَاهُ لَما كَانَ لِلشِّعْرِ رَبِيعُهُ أَيْضًا

/
\
\
/
/

قَصِيدَتِي المَيِّتَةُ تُعَاتِبُنِي
عَلَى اِسْتِبَاحَةِ أَسْرَارِهَا
وَكَأَنَ أحداً سَيَهْتَمُّ بِهَا
أَوْ بِأَسْرَارِهَا التَّافِهَة
/
\
\
/
/
لَيْلٌ.. مَفْتُوحٌ عَلَى جُرْحٍ
جُرْحٌ.. مَفْتُوحٌ عَلَى لَيْلٍ
وَبَيْنَهمَا نَهْرٌ مِنْ حِبْرٍ وَدَمٍ!
/
\
\
/
/

أَيُّهَا الشَّغَفُ السَّائِرُ فِي العُرُوقِ بِسُرْعَةِ الضَّوْءِ
تَمَهَّلْ قَلِيلًا،

أُرِيدُ أَنْ أَرَى نِهَايَةَ النَّفَقِ!
/
\
\
/
/
ضِحْكَةٌ كَمُوسِيقَى
عَذْبَةٍ تتهادى لِي مِنْ البَعِيدِ الآنَ
فَتُعْلِنُ مِزَاجَ مَا تَبْقَى مِنْ النَّهَارِ!
/
\
\
/
/
مَعَ بِدَايَةِ المَسَاء
يُضَاعِفُ صَوْتُ السِّتِّ سِحْرَهُ
يَتَقَطَّرُ كُلَّمَا أَوْغَلْنَا فِي اللَّيْلِ
حَتَّى يَصِيرَ
غَيْمَةَ وَجْدٍ وارتعاشةَ روحٍ!

أَحـــــــــــافيــر

هاكم ذَاكِرَتِي..
اُحْرُثُوا أَرْضَهَا اليَابِسَةَ
لَعَلَّكُمْ تَجِدُونَ أُحْفُورَةً
تُشِيرُ إِلَى أَنَّكُمْ مَرَرْتُمْ مِنْ هُنَا يَوْمًا ما
فِي ذَاكِرَتِي المَملوءةِ بِالأَحَافِيرِ
المطمورةِ تَحْتَ رُكَامِ الأَيَّامِ وَالسَّاعَاتِ وَالدَّقِائق
/
/
\
هاكم قَلْبِي..
إِنْ كُنْتُمْ تَسْتَطِيعُونَ النَّفَّاذَ إِلَيْهِ
/
\
هاكم جُرُوحُي..
فَتِّشُوا بَيْنَهَا
لَعَلَّكُمْ تَجِدُونَ أَسْمَاءَكُمْ وَتَنْسَحِبُونَ!
/
\
\
هاكم قَصِيدَتِي..

وَدَعُوا لي حُرْقَةَ كِتَابَتِهَا أَوَّل مَرَّةٍ
هاكم أناَ!

هذيان رأس السنة

«إنِّي لأجْبُنُ من فراقِ أحبتَّي»
(المتنبي)

يُشيرُ إليّ البردُ بأطرافِ أصابعِهِ
ليَسْتدرجني إلى دِفْئي المَفقودِ للأبد.
/
\
يُذَكِّرني بأعيادِ الميلادِ
، البعيدةِ عنِّي،
فأتذكَّرُ حلوى مَصنوعةً على هيئة بابا نويل
أُخبِّئُها عن أعينِ العائلةِ الخائِنةِ لما تخفي الصدور
كَي تَذوبَ في شَغافي
وَحدِها!
/
\
\
/
/
أَعَيْشُ بِدَايَاتِ شِتَائِي
كُلَّمَا دَاهَمَني هَذَا الْبَرْدُ

حَتَّى أَسْتَعيدَ غَائِبِي
الَّذِي صَنَعَ حُضُورِي كُلَّهُ
.. وَرَحَلَ!
/
\
\
/
/
بِجِيَلٍ بَسيطَةٍ
كَانَ يَصْنَعُنِي امْرَأَةً جَدِيدَةً
بِذِكْرَيَاتٍ قَدِيمَةٍ !
/
\
\
/
/

يَفْرُشُ لِي الْأَمَانِي
عِنْدَ رَأْسِ كُلِّ سَنَةٍ
بِأَمَلٍ يَتَلَاشَى بِينَ يَدِيهِ
عَامًا بَعْدَ عَامٍ،

وَيَكْبَرُ بَيْنَنَا كُلَّ يَوْمٍ..
ثَمَّ يَنْتَهِي بِالرَّحِيلِ !
/
\
\
/
/

يُعَانِدُ حُزْنِي بِضحكةٍ هَادِئَةٍ جِدًا،
وَفِنْجَانِ قَهْوَةٍ،
وَحَديثٍ لَا يَنْتَهِي عَنْ مِيليشياتٍ
لَمْ تَسْتَطِعْ اغْتِيَال بَرَاءتِهِ الْجَبَلِيَّةِ
فِي شوَارع بَيْرُوت

/
\
\
/
/
يُبَاغِتُنِي بِنَزْوَاتٍ قَصِيرَةٍ
.. مُوحَشَةٍ!

وَيَهْمِي كَمَطَرٍ
لَا أَعرفُهُ وَلَا يَعْرفُنِي
مِنْ وَراءِ نَافِذَةٍ مَفْتُوحَةٍ دَائِمًا

/
\
\
/
/
يُغْرقُنِي بِالْأَحْمَرِ
فِي أَعْيَادِهِ الَّتِي لَا أَعْرِفُ مَتَى تَجِيءُ،
فَأَخْجلُ مِنْ سَوَادَي الْأَبَدِيِّ،
وَأُقَرِّرُ أَنِ أَنزِعَ عَبَاءةَ جَدْتِي
لِأَقْرَأَ قَلِيلًا
فِي سَرْمَدِ الْحِكَايَاتِ الإِنجيِّلية
لَكِنِي لَا أَفعَلُ..
أَنْسَى أَوْ أَتَنَاسَى!

/
\
\

/
/
يُرَاهِنُ عَلَى شَيْءٍ لَا أَراهُ،
وَيُطَيِّرُ بَيْنَ كَفيه
حَمَائِمَ بَيْضَاءَ وَجَمِيلَةً جِدًا
لَوْلَا أَنَّها غَيْرُ مَوْجُودَةٍ
إلا فِي لَوْحَاتٍ يَرْسُمُهَا عَلَى الْوَرَقِ الْأَصْفَرِ
لِيُدَارِي خَجَلَهُ اللامرئي

/
\
\
/
/
يَجْمَعُ قُصاصَاتِ الصُّحُفِ
لِيُهدي كَسَلي
بَعْضًا مَنِ الشِّعْرِ الْيَوْمِيّ الْمَنْشُورِ،
وبراحتيهِ
يُكَفْكِفُ دَمْعَ قصَائدَ لَا يُحِبُّهَا!

/

\
\
/
/

يَنْهَرُنِي بِغَضَبٍ مَصْنُوعٍ
كلَمَّا لَمَحَنِي أَضَعُ بَيْنَ أَسناني
مَشبكَ الْوَرَقِ الْحَديدِيِّ

وَيَتَكَسَّرُ شَظَايَا
مِنْ أَمَل وَرَجَاء
كلَمَّا هَدَّدتهُ ببَلْعِهِ
لِيَبْلُغَ نَزَقي مَداهُ الْأَقْصَى
فِي غَيَاهِبِ الدَّلَالِ!
/
\
\
/
/

بِخَطواتِهِ الثَّقِيلَةِ يَمْشي

فَيَطَيرُ خَلْفَهُ سِرْبُ حَمامٍ بَرَّيٍّ بِبُطْءٍ
يُنَاسِبُ وَهنَ الْقلبِ الْكَبيرِ،
وَانْتِكَاسَةَ الرِّوحِ الْمُثلَى!

يَقِفُ فَتَقِفُ عَلَى كتفِهِ
الْحَمَامَةُ الْمُدَلَّلَةُ
وَيَغضُّ السُّرْبُ طَرفَهُ حَيَاءً!
/
\
\
/
/

يَتَلَفَّتُ فَيَنْزَرِعُ الْمدَى بِالْكَلِمَاتِ
يَبْتَسِمُ للْمدَى
فَتَتَطَايَرُ الْكَلِمَاتُ
فِي سَقْفِ الْقَاعَةِ الْكَبيرَةِ
وَتتَلَاشَى فِي خِضَمّ الصّمْتِ
وَصوتِ نَقْرِ الْأَحْرُفِ
عَلَى لَوْحَة الْمَفَاتِيحِ
/

\
\
/
/

يُوَزِّعُ كلماته السَّاخِرَةِ
عَلَى الْجَالسِينَ
فِي كَسَلِ الصَّبَاحِ
فَيُصَفِّقُ سِرْبُ الْحَمامِ
وَتَفْزَعُ الْحَمَامَةُ الغافِيَةُ
عَلَى كتْفِهِ
لِيَغُذَّ سَيْرَهُ الْوَاهِنَ.

/
\
\
/
/

لَا ضحْكَات مُجَلْجلَة،
لَكِنَّها الْجَلْجَلَةُ الَّتِي تَتْبِعُ الضّحْكَاتِ الْقَصِيرَةَ الْخَافِتَةَ

أَيْنَمَا كَانَتْ،
فَتُعيدُ لِلْمُوسِيقَى بَعْضًا مَنْ حكاياتها النَّائِمَة..
مُنْذُ ثَمَانِينَاتِ بَيْرُوت!

/
\
\
/
/
بَيْرُوت يا بَيْرُوت
يا حِكَايَةً لَا تمَوت،
يا دَمْعًا مُتَحَجِّرًا فِي قَاعِ الرِّوح،
يا دَبَّابَةً شَقَّتْ الطَّرِيقَ
فَنَكَأَتِ الْجُرْحَ
وَاِنْدَلَقَت الذِّكْرَيَاتُ
فِي فِنْجَانِ الْقَهْوَةِ الْبَارِدِ!

/
\
\
/

/

بَيْرُوت يا بَيْرُوت..
يا مدِينَتِي الْمُنْتَظَرَة،
يا بُنْدُقِيَّةً نَائمَةً فِي دُرْجِ الْمَطْبَخِ،
يا مُسَدَّسًا يَتَقَاسَمُ الْمِسَاحَةَ مَعَ الْوَرَقِ فِي درْجِ الْمَكْتَبِ،
يا دَمًا سَائِلًا فِي مَجْرَى الْحِبْرِ!
/
\
\
/
/
بَيْرُوت يا بَيْرُوت..
أيتها الْمَدِينَة الَّتي آمنتني مِنْ خوفٍ
وَأَطْعَمَتْنِي مِنْ جُوعٍ
وَأَيْقَظَتْنِي مِنْ سُباتٍ
قَبْلَ أَنْ أَراهَا

/
\
\

/
/
بَيْرُوت يا بَيْرُوت..

يا حَجَرِي الثَّقِيل الْجَمِيل النَّبِيل..
أُطَوِّحُكَ فِي بِحَيْرَةِ نِسْيَانِي
فَتَخْلقنِي مِنْ جَديدٍ
دَائِرَةً حَوْلَ دَائِرَةٍ
وَلَا قرَار..
أَهْرُبُ مِنكَ وَمِنهُ

وَلَا فرَار!
/
\
\
/
/

بَيْرُوت يا بَيْرُوت..
يا حُلَمِي
الَّذِي سَأَكْتُبُهُ ذَاتُ يَوْمٍ

على جنَاحِ النَّوْرَسِ الَّذِي هبط بِسَكِينَةٍ
عَلَى شَاطِئَي الْحَزِينِ
ذَات زَمِنٍ بَعيدٍ جِدًا..!

فَأَفْرِغَ فِي روحِي
حُمُولَته مَنِ الْحَبِّ
وَحَلِّق فِي السَّمَاءِ
لِلْأَبَدِ..
تَمَامًا كَمَا يليقُ بِهِ!

/
\
\
/
/

بَيْرُوت يا بَيْرُوت..
انْتَظِرِينِي..!

وفِي الْيَوْمِ السَّادسِ!

يَغيبُ..
فَيُدَوِّي صَوْتُهُ صَادِحًا
فِي فرَاغَي الْكَبِيرِ...
بِلَا صَدَى

/
\
/

يَغيبُ..
فَتَتَهَاوَى كُلُّ دِفَاعَاتِي
بِانْتِظَارِ قهوتي
فِي مَقْهَى ستاربكس الْمَطَار..!

/
\
\
يَغيبُ..
فَتَهْدَأُ ثَوَرَةُ الْعتَاب فِي دَمَي
لِتَنْفَجِرَ ثَوَرَةُ الْأَسَى بَدَلًا مِنهَا

/
\
\

يَغيبُ..
فَاِسْتَسْلَمُ لِلْوَجْدِ
فِي مَعَنَاهَ الْقَاتِل!
/
\
\
/
يَغيبُ..
فَتُدَاهِمُنِي مَلَائِكَةُ الرِّحمة
وَأَبَالِسَةُ الْقَسْوَةِ
وَيَبْدَأُ الْجَمِيعُ بِمُمَارَسَةِ عَمَلِهِ
فِي ذَلِكَ الْجُزْءِ الْمُلْتَهِبِ
مِنْ جَسَدَي
وَالَّذِي يَسْمُوَنَّهُ الْقَلْبَ!

/
\

/
يَغيبُ..
فَتَتَعَالَى صَيْحَاتُ الْوَحْشَةِ
فِي فَرَاغِ الْغِيابِ
حَقِدًا عَلَى مَنِ اَخْتَــرَعَ
فِكرَةَ السَّفرِ!

/
\
\
/
/
يَغيبُ..
فَيَتَهَاوَى صرْحُ قَلبي
انْتِقَامًا مِنْ فِكرةِ الغيابِ!
/
\
\
/
/
/

\
\
وَفِي الْيَوْمِ السَّادسِ
كَانَ عَلَى أَساي
أن يَتَرَجَّلَ مِنْ صَهْوَةِ جَبَرُوتِهِ
وَيَسيرُ مُحَاذِيًا لسِيَاجِ الْحَديقَةِ اللَّيْلِيَّةِ،
وَهُوَ يَرْتَجِلُ أَلحانًا غَامِضَةً
تارِكًا سَابِعَ الْأَيَّامِ
لِوَحْشَةِ الْبَدْءِ
عِنْدَ نُقْطَةِ الْوَدَاعِ الْأُوْلَى!

/
\
\
/
/

(رَسَمُوا فِي فضاءاتنا خَفْقَةَ جَنَاحٍ مهيض
وَغَابُوا)!

/
\
\
/
/

أَحْتَسِي قهوتي
بَارِدَةً مُنْذُ الْغيابِ..
لَا أَحْتَمِلُ حَرِيقَيْنِ فِي دَمِي!
/
\
\
/
هِيَ أشياء لا تُشْتَرى
مِثْلَ تَلْوِيحَتِهِ الْأَخِيرَةِ
علَى حَافَّةِ الْغيابِ!

/
\
\

أَشْتَرِي ضَلالَةَ قلْبِهِ
الْمُتَلَاشِي فِي الْغيابِ..
بِهُدَى روحِي
الْمُمْعِنَةِ فِي الْحُضورِ!

/
\
\
/
/

غِيابٌ مُوجِعٌ وفريدٌ..
ذَلكَ الْغيابَ الَّذِي يُعَزِّزهُ
زِحام النَّاسِ حَوْلي!

/
\
\
يَنْتَشِلُنِي مِنَ الْغيابِ..
وَيَزْرَعُنِي كَزَهْرَةٍ مَالِحَةٍ
عَلَى شَاطِئ لَاتِينِيّ

بِمُجَرَّدِ جُمْلَةٍ مُنْفلِتةٍ منه!

/
\
\
/
/

أَسَتَعُدُّ لِحَتْفِي..!

/
\
\
/
/

فِي غِيابِهِ..
سَتُرَافِقُهُ نَجْمَةٌ لَاَمِعَةٌ
تَتَازَلتْ عَنْ عَلْيَائِهَا

فِي سَمَاءِ قَلبِي
لِتُضِيءَ وَحْشَتَهُ
فَِي لَيَالِي الْبُعْدِ!

/
\
\
/
/

تَسَلَّحْتُ بِذَاكِرَةٍ إِضَافِيَةٍ
وَقَصِيدَتَيْنِ
لِمُوَاجَهَةِ يَبَابِ اللَّيْلِ!

/
\
\
/
/

أَتَحَضَّرُ لِبَهجَةٍ مَوْعُودَةٍ...
وَيَأْتِينِي بِالْأَخْبَارِ
مَنْ لَمْ أُزَوِّد!
/
\
\
/
/
نَدبةٌ فِي ظَاهِرِ الْكَفِّ
أَمْ نَجْمَةٌ فِي سَمَاءِ الْقلبِ
هَذِي الَّتِي تُحَاوِلُ الْآنَ
إِغْوَاءَ تِلْكَ السَّيِّدَة المتأبية؟

/
\
\
/
/

قُلَّبٌ طَاعِنٌ فِي الْغيابِ..
ذاهِلٌ عَنْ نَفْسِهِ

/
\
\
هكذا..!

بيْرُوتُ

شُرْفَةٌ فِي سَمَاءِ اللهِ
تَتَزَلْزَلُ مِنْ تَحْتِهَا اَلسَّمَاءُ
كُلَّمَا قَرَّرَ الآخَرُونَ
أَنَّ خُضْرَتِهَا قد تَدَلَّتْ نَحْوَ الأَرْضِ
بَهْجَةً وَسَلَامًا

\
/
غَابَةٌ فِي طَرَفِ الجَنَّةِ المَوْعُودَةِ
تَشْتَعِلُ نارًا وَشَرَارًا
كُلَّمَا قُرَّرَ الآخَرُونَ
أَنَّ أَشْجَارَهَا صَارَتْ تُطَاوِلُ
شَجَرَةَ التُّفَّاحِ الأَزَلِيَّةَ فِي اَلجَنَّةِ الأُولَى!
\
/
/
كِتَابٌ مَفْتُوحٌ عَلَى اليَقِينِ
تَحْتَرِقُ أَوْرَاقُهُ كُلَّمَا قَرِّرَ الآخَرُونَ

أَنَّ قُرَّاءَهُ يَتَزَايَدُونَ
\
/
/
عُصفورةٌ تُغَنِّي
تَصْمِتُ عَنْ الغِنَاءِ
كُلَّمَا قَرَّرَ الآخَرُونَ ذَبْحَهَا
بِسِكِّينِ شِعَارَاتِهِمْ البائسةِ
لَكِنَّهَا لَا تَمُوتُ!

مُسْتَشْفًى

[2]
بِحِرَاسَةِ «الجِنِرَالِ فِي مَتَاهَتِهِ»
أَمْضِي أَيَّامَي
حَارِسَة لِأَيَّامِهَا
مَا زَالَتْ تَتَنَفَّسُ
مَا زَالَتْ تَنْظُرُ لِي بِعَيْنَيْنِ شِبْهِ مُغْمَضَتَيْنِ
وَمَا زَالَتْ تَبْدُو مَذْعُورَةً
بِكَامِلِ هُدُوئِهَا الطِّبِّيِّ المُصْطَنِعِ!
\
/
/

فِي غُرْفَةِ العِنَايَةِ الفَائِقَةِ
تَبْدُو الأَمصالُ المُعَلَّقَةُ فَوْقَ رَأْسِهَا
شَرَابِينَ حَيَاةٍ
قَرَّرْتِ الخُرُوجَ مِنْ شَرْنَقَةِ الجَسَدِ
لِتُهْدِيَ الجَسَدَ البَشَرِيَّ
قَطَرَاتٍ مِنْ حَيَاتِهِ المنسحبةِ قسْرًا

\
/
/
لَيْلٌ طَوِيلٌ
رَغْمَ هَمْهَمَاتِ المُمَرِّضَاتِ الآتِيَةِ مِنْ بَعِيد
وَمَوَاعِيدُ أَخْذِ الدَّوَاء قُبَيْلَ النَّوْمِ بِقَلِيلٍ،
دَائمًا قُبَيْلَ النَّوْم بقَلِيل،
وَمَوَاعِيدُ أَخْذِ العَيِّنَاتِ بُعَيْدَ النَّوْمِ بِقَلِيلٍ،
دَائمًا بُعَيْدَ النَّوْم بقَلِيل،
وَهَدِيرُ التَّكْيِيفِ الخَاثِرِ
وَذَلكَ الضَّوْءُ الَّذِي يَنوسُ تَحْتَ السَّرِيرِ
وَتِلْكَ الرَّائِحَةُ الرَّاكِدَةُ
وَلَا شَيء
سِوَى أَنَّهُ مُجَرَّدُ لَيْلٍ طَوِيلٍ!

\
/
/
تَتَّحِدُ أَمْرَاضُ الجنِرَالِ اللَّاتِينِيِّ
مَعَ أَمْرَاضِ الرَّاقِدَةِ أَمَامَي
أَتَوَحَّدُ مَعَ غابرييل غارسيا ماركيز
فِي رُؤْيَةِ الجَسَدِ الَّذِي يَمُضُّه المَرَضُ
وَيَمْضِي
غَيْرَ عَابِئٍ بِنَا
نَحْنُ المُنْتَظَرِينَ عَلَى حَافَّتِهِ
نَتَنَسَّمُ رَوَائحَهُ المُحَايِدَةَ
وَنَمْضِي بِعُيُونِنَا المُحَاطَةِ بِدَوَائِرَ سَوْدَاءَ!

\
/
/
.....
.....
.....
.....

كُلُّ هَذَا الفَرَاغِ لَا يُشبهُ ذَلكَ الفَرَاغَ الكَبِيرَ
الَّذِي لَا تملؤه سِوَى دَعوَاتٍ خفيضةٍ
مِنْ صَوْتٍ لَا يَكَادُ يَبَينُ
بِخَفَرٍ مُصْطَنِعٍ!

دِمَاءٌ

يَوْمٌ دَامٍ جَدِيدٌ
يَحْمِلُ بَصَمَاتِنَا
وَيَضَعُنَا عَلَى حَافَّةِ الاِخْتِيَارِ المَقِيتِ
بَيْنَ بَيْنَ
نَرْكُضُ فِي كُلِّ الاِتِّجَاهَاتِ
وَنَمْسَحُ آثَارَنَا خَلْفَنَا
قَبْلَ أَنْ تَمْحُوَهَا الرِّيحُ
وَيَجْعَلُهَا الآخَرُونَ أَيْقُونَةً لِلكَرَاهِيَةِ
فِي عُنْوَانِهَا العَرَبِيِّ!

مَوْتٌ

«عَلَى حَافَّةِ الأَرْبَعِينَ سَأَمُوتُ»
يُرَدِّدُ نُبُوءَتَهُ بِابْتِسَامَةِ الوَاثِقِ،
وَذُهُولِ المُتسائل
بَيْنَ ضَحْكَاتِنَا السَّاخِرَةِ
وَتَعَاطُفِنا البَارِدِ

يَمْخَرُ عُبَابَ المَسْرَحِ
بِأَجْنِحَةٍ مِنْ حُلْمٍ نَارِيٍّ
وَحُلْمٍ ثَلْجِيٍّ

وَبَيْنَهمَا يُحِبُّ كَثِيرًا جدًّا
وَيُنْجِبُ البَنِينَ وَالبَنَاتِ
وَيَرْسُمُ بِأَلْوَانِهِ الغَجَرِيَّةِ
وَعَلَى حَافَّةِ الأَرْبَعِينَ،
أَوْ بَعْدَهَا بِقَلِيلٍ
يَمُوتُ
بَيْنَ نِيرَانِ المَسْرَحِ
وَثُلُوجِ الأَقْرَبَيْنِ!

قِلَّةٌ

«قِلَّةُ الغِذَاءِ غِذَاءٌ»،
يَقُولُ اِبْنُ عَرَبِي،
لِلمَزِيدِ مِنْ البُكَاءِ!

رَحِيلٌ كَبِيرٌ

فَجْرٌ بَاهِتٌ
يَبْحَثُ عَنْ مَلَامِحِهِ
فِي وُجُوهٍ لَا مَلَامِحَ لَهَا

صِغَارٌ بِأَسْئلَةٍ سَوْدَاءَ
وَآبَاءٌ وَأُمَّهَاتٌ بِعُيُونٍ دامِعةٍ
وَشَوَارِعُ مُرْتَبِكَةٌ فِي حُزْنِهَا المُبَكِّرِ

مَوْتٌ أَكِيدٌ
وَحُزْنٌ قَاتِمٌ
يَتَّسِعُ لِيَكُونَ بِاتِّسَاعِ السَّماء
ولَونًا لَسَمَاء فَتَحَتْ أَبْوَابَهَا
لِتَسْتَقْبِلَ ضَيْفَهَا المُهَيْمِنَ
عَلَى وِجْدَانِ بِلَادٍ تَبْكي
لَقَدْ رَحَلَ
رَحَلَ فِعْلاً
يَنْبَغِي أَنْ أُصَدِّقَ
بِحَجْمِ كُلِّ هَذَا السَّوَادِ الَّذِي يُبَطِّنُ جَسَدِي
وَيُغْوِي رُوحِي
لِلمَزِيدِ مِنْ البُكَاءِ!

عَـــــــــزاء

نِسْوَةٌ مُتَلَفِّعَاتٌ بِالسَّوَادِ
يَقِفْنَ عَلَى بَابِ القَصْرِ المُهِيبِ
بِهَمْهَمَاتٍ مُتَشَابِهَةٍ

وَعُيُونٍ مُخْتَبِئَةٍ خَلْفَ النَّظَّارَاتِ السَّوْدَاءِ
وتحايا خَاطِفَةٍ
وَنَظْرَاتٍ بَاحِثَةٍ عَنْ مَعْنى لِكُلِّ مُفْرَدَةٍ
أَوْ نَقشٍ
أَوْ خَبَرٍ جَدِيدٍ
قَبْلَ أَنْ يَنْفَتِحَ بَابُ الحُزْنِ
لَتَنْدَلِقَ المَشَاعِرُ الدَّفِينَةُ
فِي بَحْرٍ مِنْ أَعْيُنٍ سَوْدَاءَ
لِنِسْوَةٍ بَاكِيَاتٍ!

مُـــعَلِّم

يَنْدَفِعُ دَمُهُ فِي مَسَارِبِ الأَلَمِ
يُرَاوِغُ اِسْتِقَامَةَ الشَّرَيَانِ
لِيَهْدُرَ فِي أَرْوِقَةِ الدِّمَاغِ صَاخِبًا
يَحتويهِ البَيَاضُ البَارِدُ
وَتَبْقَى «نُصُوصُ الكَوْنِ»
فِي عُهْدَةِ الرَّجَاءِ وَالدُّعَاءِ وَالصَّلَاةِ
فَلَا يَكُونُ غَيْرُها
فِيضًا لِلدَّمْعَةِ
وَمُسَكِّنًا لِلأَلَمِ
وَبَوتَقَةً لِلتَارِيخِ القَرِيبِ جِدًا!

حـــــــزينٌ

رَحَلَ الشَّاعِرُ الحَزِينُ
عَلَى مَرْكَبَةٍ مِنْ سُخْرِيَّةٍ!

تَحْتَ «ضَوْءِ القَمَرِ»
تَرَكَ أَحْلَامَهُ المُسْتَحِيلَةَ
وَتَرَجَّلْ عَنْ فَرِحِهِ المُسْتَعَارِ
لِيَكُونَ أَكْثَرَ خِفَّةٍ
فِي وُجُودٍ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ مُوَشًّى بِالحِبْرِ
رَحَلَ الشَّاعِرُ السَّاخِرُ
قَبْلَ أَنْ يَنْتَهِيَ الضَّحِكُ
وَتَنْتَحِرُ الابْتِسَامَاتُ عَلَى شَوَاطِئِ الحِكْمَةِ!

رَحَلَ الشَّاعِرُ المُتأَبِّي
بِرِفْقَةِ قَبِيلَةٍ مِنْ الكَلِمَاتِ
وَذِكْرَيَاتٍ لَمْ يَعُدْ لَهَا
مَا يُبَرِّرُهَا!

قـــــــانا

شَرْخٌ يَسِيلُ بَيْنَ شَرَايِينِي
بِسُرْعَةٍ رَهِيبَةٍ جِدًّا

لَا أَقْوَى عَلَى إِيقَافِهِ
لَا أُرِيدُ..

لَا أَشْعُرُ بِهِ إِلَّا وَهُوَ يَسيلُ
أَسْمَعُ صَلِيلَهُ كُلَّمَا عَبَرَ عِظَامِي
أَشْعُرِ بِهَا
تَتَفَتَّتُ فِي مسراه الرَّهِيبِ
يَتَفَتَّقُ قَلْبِي عَنْ لَا شَيْءٍ
لِيَتْرُكَ لَهَا الفَرَاغَ
يُوَاصِلُ رِحْلَتَهُ نَحْوَ أَقَاصِي الرُّوحِ
سُؤَالًا وُجوديًّا عَصِيًّا عَلَى الإِجَابَةِ
فِي يَقِينِ البَشَرِ وَإِلَهِهِمْ
وَصُدَاعًا يُفَجِّرُ الرَّأْسَ
وَيُزَلْزِلُ الكَتْفَيْنِ
وارتجافةً تَنْفضُ الأَطْرَافَ
وَأَمْرَاضًا تَتَكَالَبُ فَجْأَةً
لِتَحْتَلَّ أَمْكِنَتَهَا المُنْتَقَاةَ
فِي جُغْرَافِيَا الجَسَدِ
وَبُرُودَةٍ تَسْرِي في مسراه المتعجِّلِ جِدًّا
نَحْوَ كُلِّ شَيْءٍ
/

/
وَمُوَاتًا..
مُجَرَّدُ مُوَاتٍ
لَا أَشْعُرُ بِهِ
وَلَا تَشْعِرُ بِهِ الشَّاشَةُ الحَافِلَةُ
بِصُوَرٍ وَاضِحَةٍ جدًّا
لِإِجَابَاتٍ سماوية!

سُؤَالٌ بائس

تكَرَّر فِي أَعْمَارِهُمْ المتناسلة
وَلَمْ يَجِدُوا إِجَابَتَهُ
حَتَّى وَهُمْ يُفَتِّشُونَ بَيْنَ سُطُورِ الوَصِيَّةِ
فِي اليَوْمِ الثَّالِثِ لِمَوْتِ وَالِدِهِمْ
وَلَا فِي نَظْرَاتِ أُمَّهَاتِهِمْ المُنْتَظِرَاتِ!

إِرْثٌ مُقدَّسٌ

يَسْتَدْرِجُ عُزْلَتَهُ بِنَصْلِ آلَامِهِ المتناسلةِ
مِنْ إِرْثِهِ المُقدَّس
وَحَيِّدًا فِي سَمَاوَاتِهِ
يَبْكِي.. وَلَا دُمُوعَ!

سعدية مفرّح

شاعرة وناقدة وصحفية من الكويت.. صدر لها:

1. آخر الحالمين كان، الكويت 1990 ، القاهرة 1992
2. تغيب فأسرج خيل ظنوني، بيروت 1994
3. كتاب الآثام، القاهرة 1997
4. مجرد مرآة مستلقية، دمشق 1999
5. النخل والبيوت) شعر للأطفال(، الكويت 1999
6. تواضعت أحلامي كثيرا، بيروت 2006
7. حداة الغيم والوحشة) شعريات كويتية(، الجزائر 2007
8. ليل مشغول بالفتنة، بيروت 2008
9. قبر بنافذة واحدة) مختارات شعرية(، القاهرة 2008
10. ديوان الشعر العربي في الربع الأخير من القرن العشرين، الخليج العربي، الكويت والبحرين، بالاشتراك مع اخر) ضمن مشروع كتاب في جريدة(، اليونسكو 2008
11. مشية الإوزة /خطواتها موزعة على ستة

كتب شعرية، بيروت2010

12.شهوة السرد /هوامش على حافة التأويل، بيروت2010

13.وجع الذاكرة15 /شاعرا من فلسطين، الكويت2010

14.يقول اتبعيني يا غزالة) مختارات شعرية(، الجزائر .2010 الكويت2013

15.سين نحو سيرة ذاتية ناقصة) سيرة ذاتية(، بيروت2011

16.كم نحن وحيدتان يا سوزان، بيروت 2012

17.ويسهر الخلق، الكويت2013

18.هذا الجناح جناحي، بيروت2015

انتهى

---

* المطلع للشاعر الراحل محمد الثبيتي.. والسؤال لغائبٍ حاضر!

[1]سامرية تراثية للشاعر دخيل الله الدجيما.

[2]رواية لغابرييل غارسيا ماركيز.